الفصل الحادي والعشرون

التمييز

تعريفه :

في أول آية تناول فيها الزجاج التمييز وضع له ما يشبه الحد ، وقرر أنه نكرة لا يحتمل التعريف ، وجاء ذلك في تناوله لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [1]، وفيه يقول : " قال بعض النحويين[2] : إن (نفسه) منصوب على التفسير، وقال : التفسير في النكرات أكثر ، نحو : طاب زيد بأمره نفسا ، وقرّ به عينا ، وزعم أن هذه المفسرات المعارف أصل الفعل لها ثم نقل إلى الفاعل نحو : وجع زيد رأسه ، وزعم أن أصل الفعل للرأس وما أشبهه ، وأنه لا يجيز تقديم شيء من هذه المنصوبات، وجعل (سفه نفسه) من هذا الباب ، قال أبو إسحاق : وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف ؛ لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال ، فإذا عرفه صار مقصودا قصده ، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين " [3] .

وقد أشار في مواضع كثيرة من معانيه إلى أن التمييز مبين للإبهام ، وبمعنى (من) ، أي جيء به لتبيين الجنس كما يجاء بـ(من) المبينة للجنس ، ومن أمثلة ذلك :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [4] : " و(ذهبا) منصوب على التمييز ، قال سيبويه وجميع البصريين إن الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين الملء أن يكون جرا ، وحقيقة تفسيره أن المعنى : ما يملؤه من الذهب ، وكذلك إذا قلت : عندي عشرون درهما، أي : ما يعادل هذا المقدار من الدراهم"[5].

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [6] : " (نفسا) منصوب على التمييز ؛ لأنه إذا قال : (طبن لكم) لم يعلم في أي صنف وقع الطيب ، المعنى :

---

(١) البقرة /١٣٠ . (٢) هو الفراء ، انظر معاني الفراء ٧٩/١ . (٣) معانيه ٢١٠/١ .
(٤) آل عمران /٩١ . (٥) معانيه ٤٤٢/١ . (٦) النساء /٤ .

فإن طابت أنفسهن بذلك " [1] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [2] : " وقوله جل وعز : (سبيلا) منصوب على التمييز ، كما تقول : هذا أحسن منك وجها ، وهذا أجود منك ثوبا ؛ لأنك في قولك : (هذا أجود منك) قد أبهمت الشيء الذي فضلته به ، إلا أن تريد أن جملته أجود من جملتك فتقول : هذا أجود منك ، وتمسك " [3] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [4] : " وقوله (صياما) منصوب على التمييز ، المعنى : أو مثل ذلك من الصيام " [5] .

النص على التمييز :

يأتي ذلك كثيرا في معاني الزجاج ، وقد تقدمت منه هنا أمثلة ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

- قال في قوله تعالى : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [6] : " و(ذكرا) منصوب على التمييز " [7] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [8] : " أي كفى هو إثما ، منصوب على التمييز " [9] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ﴾ [10] : " (مثوبة) منصوب على التمييز " [11] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [12] : " (عداوة) منصوب على التمييز " [13] .

- وقال في قوله تعالى:﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[14]:"(علما) منصوب على التمييز"[15].

---

(١) معانيه ٢/١٢ .
(٢) النساء /٥١ .
(٣) معانيه ٢/٦١ ، ٦٢ .
(٤) المائدة /٩٥ .
(٥) معانيه ٢/٢٠٨ .
(٦) البقرة /٢٠٠ .
(٧) معانيه ١/٢٧٤ .
(٨) النساء /٥٠ .
(٩) معانيه ٢/٦١ .
(١٠) المائدة /٦٠ .
(١١) معانيه ٢/١٨٧ .
(١٢) المائدة /٨٢ .
(١٣) معانيه ٢/١٩٩ .
(١٤) الأعراف /٨٩ .
(١٥) معانيه ٢/٣٥٧ .

ـ وقال في قوله تعالى:﴿ ... أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ﴾[1]:"(درجة) منصوب على التمييز "[2] .

إطلاق لفظ (التفسير) عليه :

وقع ذلك من الزجاج في مواضع كثيرة ، ومن ذلك :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا﴾[3] : " (حكما) منصوب على التفسير " [4] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾[5] : " و(مكانا) منصوب على التفسير " [6] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[7] : " و(صليا) بالضم والكسر منصوب على التفسير " [8] .

شرط التمييز :

تقدم في كلام الزجاج هنا أن التمييز لا يكون إلا نكرة ، ولا يجوز أن يكون معرفة .

ناصب التمييز المبين للاسم :

تحدث الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[9] فقال : " (عينا) نصب على التمييز ، وجميع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخول التنوين وإن لم يذكر في (عشرة) ؛ لأن التنوين حذف ههنا مع الإعراب ، ومعنى قول الناس : (عندي عشرون درهما) معناه : عندي عشرون من الدراهم ، فحذف لفظ الجمع ، و(من) هذه التي خلص بها جنس من جنس ، وعبر الواحد عن معنى الجمع ، فهذا جملة ما انتصب مع العدد على التمييز " [10] .

وهو إشارة إلى أن الناصب لمبين الاسم هو الاسم المبهم ، وقد اختلف في توجيه صحة إعماله مع أنه جامد ، فقيل : عمل لشبهه باسم الفاعل ؛ لأنه طالب له في المعنى كـ(عشرين درهما) فإنه شبيه بـ(ضاربين زيدا) ، و(رطل زيتا) فإنه شبيه بـ(ضارب عمرا)

---

(١) التوبة /٢٠ .
(٢) معانيه ٤٣٨/٢ .
(٣) المائدة /٥٠ .
(٤) معانيه ١٨١/٢ .
(٥) المائدة /٦٠ .
(٦) معانيه ١٨٩/٢ .
(٧) مريم /٧٠ .
(٨) معانيه ٣٤٠/٣ .
(٩) البقرة /٦٠ .
(١٠) معانيه ١٤١/١ .

في الاسمية والطلب المعنوي ووجود ما به التمام وهو التنوين والنون ، وكلام الزجاج هنا يوافق ذلك القول .

وقيل : لشبهه بـ(أفعل من) ، وذلك في خامس مرتبة ؛ فإن الفعل أصل لاسم الفاعل ؛ لأنه يعمل معتمدا وغير معتمد ، واسم الفاعل لا يعمل إلا معتمدا ، وهو أصل للصفة المشبهة ؛ لأنه يعمل في السببي والأجنبي ، وهي لا تعمل إلا في السببي دون الأجنبي، وهي أصل لـ(أفعل من) لأنها ترفع الظاهر ، وهو لا يرفعه إلا في مسألة واحدة ، وهو أصل للمقادير ؛ لأنه يتحمل الضمير وهي لا تتحمله ، قال المصرح [1] : وصحح هذا القول ؛ لأن حمل الشيء على ما هو به أشبه أولى .

ناصب التمييز المبين للنسبة :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[2]:" الأمد: الغاية ، و(أمدا) منصوب على نوعين ، وهو على التمييز منصوب ، وإن شئت كان منصوبا على : أحصى أمدا ، فيكون العامل فيه (أحصى) ، كأنه قال : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ، ويكون منصوبا بـ(لبثوا) ، ويكون (أحصى) متعلقا بـ(لما) فيكون المعنى : أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد " [3] .

وظاهره أنه يجعل ناصب التمييز المبين للنسبة هو المسند ، وذلك مذهب سيبويه والمازني والمبرد وتابعيهم [4] .

هل يجوز نحو (حسُن القوم رجلا) ؟

تناول ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [5] ، وفيه يقول : " (رفيقا) منصوب على التمييز ينوب عن (رفقاء) ، وقال بعضهم : لا ينوب الواحد عن الجماعة إلا أن يكون من أسماء الفاعلين ، فلو كان : (حسن القوم رجلا) لم يجز عنده ، ولا فرق بين رفيق ورجل في هذا المعنى ؛ لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة ، وكذلك في المواضع التي لا تكون إلا جماعة نحو قولك : هو أحسن فتى وأجمله ، المعنى : هو أحسن الفتيان وأجملهم ، وإذا كان الموضع الذي لا يلبس ذكر الواحد فيه فهو ينبئ عن الجماعة ، كقول الشاعر :

(١) التصريح ١/٣٩٥ .
(٢) الكهف /١٢ .
(٣) معانيه ٣/٢٧١ .
(٤) انظر التصريح ١/٣٩٥ .
(٥) النساء /٦٩ .

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب [1]

وقال الآخر :

في حلقكم عظم وقد شجينا [2]

يريد : في حلوقكم عظام ، ولو قلت : (حسن القوم مجاهدا في سبيل الله) ، و(حسن القوم رجلا) كان واحدا " [3] .

(١) من بحر الطويل ، لعلقمة بن عبدة ، من شواهد الكتاب ٢٠٩/١ ، وقد تقدم .

(٢) من مشطور الرجز ، للمسيب بن زيد مناة ، من شواهد الكتاب ٢٠٩/١ ، وقد تقدم .

(٣) معانيه ٧٣/٢ ، ٧٤ .

obeikandl.com